Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تبدو فى هذه الأبيات نزعة بشار إلى تقليد القدماء ومحاكاة شعراء الجاهلية فى مخاطبة المصاحبين كأنهما رفيقاه فى رحلته وهى صورة قديمة وهذا واضح فى قوله : « حييا صاحبى » . وفى الأبيات من « أيها السائلى » إلى « حرم الله » نجد صورة تقليدية للمدح ، حيث كان القدماء يمدحون شخصاً بالكرم ، وأن كرمه وفير كالغيث ، وهذه صورة مألوفة ، فقد شبه الشاعر ممدوحه بالغيث يكرم القريب والبعيد والفقير . وفى قوله : « يسقط الطير حيث ينتثر الحب » فيه حسن تعليل لكثرة وفود الناس على منزله فهو كريم ، وحيث يوجد الحب تأتى الطيور لتأكل . ومن الأوصاف التقليدية للمدوح أيضاً وصفه بالشجاعة والإقدام فى مواقف الحرب ، وهذا واضح فى قوله : « لا يهاب الوغى » وفى قوله : « وأخرى سمّ على الأعداء » . وهكذا كان بشار ــ فى مديحه ــ يحافظ على الصورة الموروثة للغة على الرغم من أنه عاش فى المدينة وتأثر بثقافتها الممتزجة بالثقافات الأجنبية المتعددة .

ومن شعره فى المديح قوله يمدح المهدى :

تَجَالَلْتُ عَنْ فِهْرٍ وعَنْ جَارَتَىْ فِهْرِ ... وَوَدَّعْتُ نُعْمَى بالسَّلاَمِ وبالبِشْرِ
وقالتْ سُلَيْمَى فِيكَ عَنَّا جَلاَدَةٌ ... مَحَلَّكُ دَانٍ والزِّيَارَةُ عَنْ غَفْرِ
أَخِى فى الهَوَى مَالِى أَرَاكَ جَفَوْتَنَا ... وقَدْ كُنْتَ تَقْفُونَا على العُسْرِ واليُسْرِ
تَثَاقَلْتَ إلاَّ عَنْ يَدٍ أَسْتَفِيدُهَا ... وزَوْرَةِ أَفْلاَكٍ أَشُدُّ بَهَا أَزْرِى
واخْرَجَنى مِنْ وِزْرِ خَمْسِينَ حِجَّةً ... فَتَىً هَاشمى يَقْشَعِرُّ مِنَ الوِزْرِ
دَفَنْتُ الهَوَى حَيّاً فَلَسْتُ بِزَائِرٍ ... سُلَيْمَى ولاَ صَفْرَاء ما قَرْقَرَ القُمْرِى
ومُصْفَرَّةٍ بالزَّعْفَرانِ جُلُودهَا ... إذا حَلِيَتْ مِثْلَ الهِرَقْلِيَّةِ الصُّفْرِ
فُرُبَّ ثِقَالِ الرِّدْفِ هَبَّتْ تَلُومُنى ... ولَوْ شَهِدَتْ قَبْرى لَصَلَّتْ على قَبْرِى
تَرَكْتُ لِمَهدِىٍّ الصَّلاَةِ رُضَابَهَا ... وراعَيْتُ عَهْداً بَيْنَنَا ليس بالخَتْرِ
ولَوْلاَ أميرُ المُؤْمنينَ مُحَمَّدٌ ... لَقَبَّلْتُ فَاهَا أو جَعَلْتُ بِهَا فِطْرِى(١١٤)

(١١٤) ديوان بشار بن برد ٣ : ٢٤٥ ــ ٢٥١ .